لامُ العذار لتوكيد الهَوى خُلقت ... أم للتعجبِ مما ذُقّته مُشقتْ
أم لابتداءِ صَبابات المُتيّم أم ... لملكِ مُهجته للعينِ إذ رَمَقتْ
أم لاختصاصي بنبل من لواحظه ... أمْ لاستغاثة قلبي منه إذ رُشقتْ
أم ذي لتعريفِ وجدي أم لجحد دمِ ... خيولُه من مجاري أدمعي استبقتْ

ومن السّمات المتميزة في بناء القصيدة لدى الشاعر، أن غزله جاء منفصلاً عن قصائد المديح، إذ لم يلتزم الاستهلال بالغزل في قصائده، على ما هو معهود لدى الشعراء،[1] فمن مجموع قصائده في المديح التي تبلغ خمسة وثلاثين لم يستهل بالغزل إلا في ٨ قصائد وقصيدتان أخريان استهل إحداهما بالخمرة[2] والثانية بوصف الطبيعة، وبذلك تبلغ نسبة إهمال الشاعر ٧٢٪ من مجموع قصائده ومن أمثلة هذه القصائد التي يباشر فيها المديح قوله يستهل قصيدة في مدح صاحب سبتة أبي علي الحسن بن خلاص:[3]

أنهض بأمرك فالهدى مقصودُ ... واسعدْ فأنتَ على الأنام سعيدُ
والأرضُ حيث حللتَ قدْسٌ كلها ... والدّهر أجمع في زمانك عيدُ
ماضي الزمان عليك يَحسدُ حاله ... لا زال غيظَ الحاسدِ المحسودُ

ابن الجنان الأنصاري

حياته وسيرته:

من شعراء عصر الموحدين، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، ليس بين أيدينا معلومات عن نشأته وحياته الأولى، ولكنّا نعلم من قصيدته الفائية بأنه كان شديد التعلق بأبيه ولا سيما بعد أن رحل هو عن مدينته مرسية إلى أوريولة سنة ٦٤٠هـ وكانت هجمة الأسبان عليها شديدة..

هجرت داري وأحبابي ومن شيمي ... وصل المهاجرِ إما خانني وجفا

وفي القصيدة ذاتها نعلم أنه له أخوين ويخاطبهما بعد وفاة أبيه بقوله:

يا ابني أبي أسْعِدا بالله صِنوَكما ... بعَبرة تفضح الهطالة الوَكفا

وتوحي بعض أبيات القصيدة أن أباه كان عالماً أو محباً للعلم لأن الشاعر لا ينسى فضله عليه حين نشأه وربّاه وعلمه القرآن الكريم:

أيام علّمني التنزيل يمنحني ... منه الهُدى وعلى أخذي له اللُطفا

---

١ الشعر والشعراء، ١/٢٠، ط دار الثقافة، بيروت.
٢ ديوانه، ق ٣٨.
٣ ديوانه، ق ٢٢.

قد كانَ علةَ كوني ثم رشَّحني إلى الحياة التي أرجو بها الزلفا

تفاعل مع أحداث عصره السياسية، فانحاز إلى محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل على الله الذي ثار بالأندلس على الموحدين في آخر دولتهم، وكانت مدينة الشاعر مرسية أول مدينة تخضع لحكمه سنة ٦٢٣هـ. فقد حرر لابن هود وصيته المشهورة التي كتبها عنه إلى أخيه الأمير، وهي طويلة معروفة.[١]

وبعد أن تسقط مرسية سنة ٦٤١هـ، يبكيها أبو عبد الله بكاء حاراً، ويحدثنا عن فداحة نكبة المسلمين بها كأنه شاهد عيان ويغادرها إلى أوريولة ثم إلى صاحب سبتة أبي علي الحسن بن خلاص (٦٣٧. ٦٤٦هـ)[٢] حيث يستدعيه ويحظى عنده بالمكانة لكنه لم يلبث أن رحل إلى أفريقية (تونس) واستقر ببجاية، ولعل ذلك كان بعد وفاة ابن خلاص فلئن صحّ ذلك فإنه يكون قد توفي بحدود سنة ٦٤٨هـ، لأن ابن المرابط الذي تحدث عنه وأكثر من إيراد أخباره، كان قد انتهى من تأليف كتابه زواهر الفكر في سنة ٦٤٨هـ وكان قد قرن اسمه بعبارات الترحم، مما يدل على وفاته قبل انتهائه من تأليف الكتاب، وقد نص ابن الخطيب على أن وفاته كانت في عشر الخمسين وستمائة[٣].. وهو تحديد ينسجم مع ما ذكرناه.

تشيد كتب التراجم بفضل الشاعر وعلمه حيث أحرز مكانة رفيعة بين علماء عصره وكان من ذوي المواهب المزدوجة، شاعراً وناثراً، جرت بينه وبين علماء عصره مخاطبات ومكاتبات ومنهم، أبو الحسن الرعيني، وأبو المطرف بن عميرة، وابن المرابط، وقد حفلت المنتديات الأدبية بأمثاله.. وأغدقت نتاجاتهم الأدبية شعراً ونثراً.. فقد كان يطيب له أن يجيب من يسأله في النظم من ساعته،[٤] كما أنه عارض رائية ابن الجهم المشهورة[٥]، وشينية المتنبي،[٦] وبارى جلساءه في وصف طاووس.[٧]

أثنى المؤرخون على شاعريته كما استحسنوا منه نثره البليغ حتى أنه أصبح مضرب الأمثال "وكتابته شهيرة، تضرب بذكره فيها الأمثال، وتطوى عليه الخناصر".[٨] وأظهر إعجابه بأدبه أبو العباس المقري في غير موضع من نفحه.[٩]

---

١ النفح، ٤٠٦/٧. ٤١٤.
٢ البيان المغرب، تطوان، ٣٥٩/٣. النفح، ٣٦٥/٧. هامش، ٢.
٣ الإحاطة، ٣٥٩/٢.
٤ تنظر مواضع متفرقة مما نظمه إجابة لابن المرابط صاحب زواهر الفكر.
٥ ديوانه، ق ١٧.
٦ ديوانه، ق ١٩.
٧ ديوانه، ق ١٤.
٨ الإحاطة، ٣٥٢/٢.
٩ النفح، ٤١٥/٧، ٤٣١.

ديوانه وموضوعاته:

على الرغم من غزارة نتاج شاعرية ابن الجنان، وبراعته وكثرة مراسلاته النثرية، وإعجاب أبناء عصره به، فإننا لم نقف على إشارة إلى ديوان شعره أو رسائله وذلك ما عرض آثار الشاعرْ إلى الضياع والفقدان، وجل ما وصل منها جاء برواية واحدة أو مصدر واحد وتعرض الكثير منها للتصحيف والتحريف.

وقد نهضت بجمع ما تبقى من شعره وتحقيقه، ووقع في ألف وثلاثمائة بيت.[1]

نستطيع أن نطلق على أبي عبد الله لقب شاعر المديح النبوي في القرن السابع الهجري، وذلك لأنه يتصدر شعراء عصره في هذا الاتجاه غزارة نتاج وجودة شعر، وقد غني بمديح الرسول ﷺ عن مديح ذوي الجاه والسلطان، وكفاه سؤال الله سبحانه مسألة الناس والتذلل لدى أولي الأمر والتزلف إليهم، وأبرز موضوعاته الشعرية أربعة هي: الإلهيات، والنبويات، والأخويات، والرثاء.

والموضوع الأول والثاني يؤلف حوالي نصف الديوان، وهما يأتيان متصلين في كثير من قصائده، اتصال ركني شهادة المسلم.. والشاعر بهذا يعد من كبار شعراء عصره ذوي النزعة الإسلامية الخالصة، التي كرّسها الشاعر في الموضوعين السابقين وإن لم يهمل الموضوعات الأخرى.

ويسلس قياد الشعر للشاعر في المناسبات الإسلامية كالحج وقدوم رمضان، وأما الحج فقط أطال الوقوف عنده كثير من الشعراء، وكان ميداناً خصباً لانطلاق العواطف من عقالها، وبث معاني اللوعة والشجون ولا سيما حين تكرس أبيات القصيدة لهدف رئيس هو الشوق والتوق لزيارة بيت الله الحرام:[2]

يا حادي الركب قف بالله يا حادي ... وارحم صبابة ذي نأي وإبعادِ
ما ينبغي عنك إلا أن تصيخ له ... سمعاً ليسأل عمّن حلّ بالوادي
بين الجوانح نار للجوى وقدت ... فإن قدرت فأخمد بعض إخمادِ
ههات تسطيع إخماداً وذكرهم ... يزيد نار ضلوعي نار إيقاد

ويقول:[3]

لهن من الأشواق حاد فإن ونت ... حداة يرجّعن الحنين أهازجا
ألا بأبي تلك الركاب إذا سرت ... هوادي يملأن الفلاة هوادجا
سما بهم، طوفٌ ببيتٍ مطامح ... أراهم قباباً للعلا ومعارجا
فأبدوا من الصدعات ما كان كامناً ... وأذروا دموعاً بل قلوباً مناشجا

---

١ ط التعليم العالي، الموصل، ١٩٩٠.
٢ ق، ١٣.
٣ ق، ٦.

ويعظم شهر رمضان الركن الركين من الإسلام، فيودعه متشبثاً به، بعد أن انصرف في خطى سريعة وهو لا يعلم إن كان قد تحقق له في هذا الشهر الأجر والثواب:[1]

فيا عهده ما كان أكرم معهداً ... ويا عصره أعزز عليّ أن انقضى
ألم بنا كالطيف في الصيف زائراً ... فخيم فينا ساعة ثم قوّضا
فيا ليت شعري إذ نوى غربة النوى ... أبالسُّخط عنا قد تولى أم الرضا
فلله من شهر كريم تعرّضت ... مكارمه إلا لمن كان أعرضا

ويطيب له أن يتفانى في تقديم الطاعة في ليلة القدر:

فيا حُسنها من ليلة جلّ قدرها ... وحظ عليها الهاشمي وحرّضا
لعل بقايا الشهر وهي كريمة ... تبين سراً للأواخر أغمضا

ولا يعني الشاعر أن يحدث عن الذات الإلهية، إذ لا ينحو منحى الفلاسفة بل يتتبع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، والسلف الصالح، فيتفكر في آلاء الله ونعمه ويقول:[2]

يا من تقدس عن أن ... يحيط وصف بذاته

وإذا ما استغرق ابن الجهم بصفات محبوبه، وأطلق العنان لمشاعره، وحلا له سماع حديث ظلوم وجارتها.. ومحادثتها ووصلها على الرغم من كبر سنه وشيبه، إذ لم يستطع كبح جماح نفسه وزجرها:[3]

كفى بالهوى غياً وبالشيب زاجراً ... لو أن الهوى مما ينهنه بالزجر

وهو مما قاله في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

فيعارضها ابن الجنان بقصيدة على وزنها وروّيها، ولكن قصيدته تأتي في ستة وأربعين بيتاً أقل من قصيدة ابن الجهم في أبياتها التي بلغت اثنين وستين بيتاً، وقد قصر الشاعر همه في المعارضة على قسمها الغزلي الذي بلغ حوالي ثلاثين بيتاً، ومطلعها:

عيون النهى بين التدبر والفكر ... جلبن الهدى من حيث أدري ولا أدري

وفي القصيدة كشف لمشاعر الحب الإلهي التي ملأت جوانح الشاعر وملكت جوارحه يتضاءل إزائها الحب الحسي، فأين النور الإلهي من الأهلة التي حدثنا عنها ابن الجهم:

ولاحَ سنا مهما تبدى لناظر ... توارى سنا الشمس المنيرة والبدر

---

١ ق، ٢٠.
٢ ق، ٥.
٣ ديوان علي بن الجهم تحقيق خليل مردم بك، ص ٢٥٢.

فهمت بمحبوب فهمتْ كماله ... فلم يلتفتْ إلا لحضرته سري
له المثل الأعلى فلا ند مشبه ... ولا مثلٌ في فضلٍ تسامي عن الحصر
قريب مجيب ظاهر وهو باطن ... وجل جلالاً عن حجاب وعن ستر

ويحدثنا عن أولياء الله الصالحين، القانتين الذاكرين له آناء الليل وأطراف النهار حتى يخلص إلى القول بأن حبه لله سبحانه ملأ عليه أقطار كل شيء وجعله يصد عن العرض الزائل الممثل في عيون المها:

نهى النفس عما تشتهيه وصدّ عن ... "عيون المها بين الرصافة والجسر"

وواضح أن القيم التي أراد التركيز عليها من خلال قصائده تقوم على مفاهيم التوكل على الله والتسليم له، والرضا التام بقضائه، واللجوء إليه ودعائه والتضرع إليه.[1]

إن النسبة الغالبة من أشعاره نحت هذا المنحى الذي يعرب عن شخصية العالم الذي تشرب قلبه بحب الله سبحانه وحب رسوله عليه الصلاة والسلام، وهو يواجه مواقف الحياة المتنوعة بالتوجهات التي جاء بها الكتاب القويم ورسوله الكريم.

فإذا نزلتْ به نازلة، أو حز به أمر عضال، تجالد إزاءه، واستسلم لله سبحانه استسلاماً تاماً، ينبئ عن حسن ظنه به، وثقته بنصره لعباده، وهذا شأن المؤمن إن أصابته ضراء صبر، فكان له بذلك خير.. ويستخير الله سبحانه في آخر القصيدة كي يختار له الرشد والفلاح:[2]

سأصبر حتى ينجز الله وعده ... ولا بد للرحمن أن ينجز الوعدا
وما زال لطف الله يفرج أزمةً ... إذا استصعبت عقداً أو استحكمت شدّا
فقد وثقت نفسي بوعدك سيدي ... وقد علقت منه الأذمة والعهدا
وحسنت صبري راضياً ومسلماً ... وإن كان مني الصبر قد بلغ الجهدا
وخر لي، واختر لي فحسبي ما ترى ... من الأمر لي خيراً وتختاره رُشدا

وهو دائم الترداد لهذا الموقف ولا ييأس من روح الله بل يجرد من اليأس إنساناً على سبيل الاستعارة يجهز عليه فيقتله:[3]

سللت على اليأس الرميم عزيمتي ... حساماً، فألفته قتيلاً مُضرجا
وقلت لنفسي: لا تراعي لأزمةٍ ... فكمْ نفّسَ الرحمن كرباً وفرجا
وإذا كرهت الأمر فارضي وسلّمي ... ففي طيه المحبوب، يأتيك مُدرجا
ولي ثقة بالله أعلم أنها ... تسهل صعبي، إن زمانيَ حرّجا

---

١ ينظر تفصيل ذلك في: الأندلس: أبحاث ومقالات في الأدب ونقد، منجد مصطفى بهجت، "ثلاث معارضات أندلسية لعيون المها"، كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مركز البحوث، ط١، ٢٠٠٩، ص١١٧-١٣٧.

٢ ق، ٨.

٣ ق، ٧.

ويسمح ابن الجنان بالشعر فيجيب من يسأله على سبيل الارتجال، وعلى نحو من التسبيح بجلال الله، وذكره حيث يجعل أول البيت لفظ الجلالة وآخره كذلك:[1]

لله أبعث رغبتي متيقناً ... ألا يخيب راغب لله
لله ألطاف تعاظم شأنها ... تخفى ويظهر سرها لله
لله أسأل من خزائن فضله ... ما رُد قبلي، سائلٌ لله
لله أدعو باضطرارٍ إنه ... ليجيب مضطراً دعا لله
لله عفو واسع وتجاوز ... يرجوه مثلي عاصياً لله

وتقترن الظواهر الكونية بتسبيح الله والتمجيد له، فيقول من قصيدة حين ينحبس المطر مرة ويرغب الناس فيه، ويتوسلون إليه تعالى:[2]

لوجهه الحمدُ لا نُحصي الثناء له ... ولا نطيق له شكراً كما وجبا
أحيا البلاد وأرواها برحمته ... فاهتز هامدها من بهجةٍ وربا
فضلاً من الله أولانا الجميل به ... فانظر لآثار رُحماه ترى عجبا

وثاني أبرز موضوعين في شعره، هو النبويات ويزيد بها مدائحه للرسول عليه الصلاة والسلام وهو موضوع التفت إليه الشعراء في العصور المتأخرة، وأطالوا المكث عنده، فبذلوا غاية الجهد في إظهار حبهم وولائهم له.. وهو يقترن بموضوعه السابق، إذ قلما يثني على الله سبحانه دون أن يصلي على النبي الكريم ويجعل ذلك في ختام القصيدة، والشواهد على ذلك من شعره كثيرة.

وفحوى مدائحه النبوية يدور حول التفاني في حب الرسول، والتفنن في ذكر مواجده وأشواقه إليه، وعرض خلاله وصفاته، ومعجزاته، والاستشفاع به يوم العرض على الله سبحانه ولا يجد بأساً من تكرار هذه المعاني في القصيدة تلو القصيدة:[3]

فما لي لا ما لي سوى حب أحمد ... وصلت له من قرب قلبي وشائجا

ويقول في الأخرى:[4]

قد تشفعت من ذنوبي إلى ذي الـ ... ـعزة الواحد العلي السميع

والاستهلال بالمقال والختام لا يصحان إلا بالصلاة والسلام عليه ولذلك يقول:[5]

ابدأ مقالك بالثناء على النبي ... جلّت محامده عن الإحصاء

ويقول:[1]

---

١ ق، ٥٢.
٢ ق، ٤.
٣ ق، ٦.
٤ ق، ٢٧.
٥ ق، ٢.

اختم بذكر محمد فبذكره يزكو شذا مسك الختام ويعبق

وينتهي الأمر بالشاعر إلى تأكيد مفهوم الصلاة والسلام عليه حين يعمد إلى استهلال عدد من أبياته بعبارة:[2]

صلوا على خير البرية خيما وأجل من حاز الفخار صميما
صلوا على نور تجلى صبحه فجلا ظلاماً للضلال بهيما
صلوا على هذا النبي فإنه من لم يزل بالمؤمنين رحيما
يا أيها الراجون منه شفاعةً صلوا عليه وسلموا تسليما

وتقوم مخمسته الوحيدة على هذه العبارة "صلوا عليه وسلموا تسليما" وذلك بعد كل أربعة أشطار.[3]

ولا يمكننا أن نغفل أبرز قصيدة للشاعر في المديح النبوي تلك الموسومة بالقصيدة المباركة الشريفة[4] ولئن كان المقال يتسع فيها ويطول في غير مطال.. فإننا نشير إلى أبرز مناحيها التي تلتقي بقصائده الأخرى إذ هو تقوم على أساسين:

أولهما: ذكر معجزاته عليه الصلاة والسلام، وهي كثيرة.

وثانيهما: الحديث عن خصاله وشمائله.

وفي القصيدة تأكيد على مكانته الخاصة ومنزلته التي آثره الله بها.. وفيها سمة التكرار، وهي سمة مؤكدة في شعره في غير قصيدة.

وأما الموضوع الثالث الذي نظم فيه الشاعر **فشعر الأخويات والمراجعات** وهو موضوع تميز فيه الشاعر تميزاً ملحوظاً وقد أكثر النظم فيه أمثاله من الشعراء العلماء والفقهاء الذين كانت صلاتهم قوية مع بعضهم وكانت المنتديات تجمع فيما بينهم، وأبرز علماء عصره الذين كاتبهم شعراً ونثراً أبو بكر بن المرابط الذي بين أيدينا سبع قصائد في حوالي مئتين وخمسين بيتاً تقترن بخطابه ويبدو أن صلة قوية كانت تربطه به وأنهما كانا ترين وصديقين حميمين ثم أدى اضطراب الأمور بمرسية التي جمعتهما إلى التفريق بينهما فكانا يتراسلان ولا سيما في مناسبة كالعيد حيث يخاطبه فيقول:[5]

دنا العيد ليت العيد لم دين وقته فقد هاج لي وجداً وزاد عراما
فمن لي بأعياد تعيد مسرتي بمغنى، به خط الجلال حماما
عسى أحرفي تحظى بقربٍ من المنى فتنهي إلى أهل الصفاء سلاما

---

١ ق، ٣١.
٢ ق ٣٧.
٣ ق، ٣٨.
٤ ينظر مقالنا عنها في مجلة الرسالة الإسلامية، ص ٩٧، العدد ١٧٩، سنة ١٩٨٤.
٥ ق، ٣٦.

وتصوره قصائده في مراسلاته على حالة من الشوق إلى صاحبه وشوقه يختلط بمأساته التي دعته إلى مغادرة الوطن ولذلك جاءت همومه وأحزانه مسطورة في رسائله:[1]

يا ليت شعري هل يرى ... من بعد فرقتنا اجتماع؟
إني سألتك ذاهلاً ... والفكر في كفّ الضياع
لم يدر ما كتبتْ يرـ ... ـاعته مشوقا ذو ارتياع
فسماعكم أخباره ... فيه على الحالِ اطلاع
وله بذلك راحةٌ ... ما ساغ تسريب الرقاع

ومن أبياته التي تصور غربته وحنينه إلى الوطن قوله:[2]

سلام كما قد جاء من ذلك المجد ... كشمس الصبا جرت ذيولاً على نجد
تسير بأشواقي إليك حثيثةً ... تؤكد في بثي، لبثي لكم وكدي؟
أحن حنين النيب نحو دياركم ... وأشكو، وقلبي في ذراكم، من البعد
يظل قريح الجفن محترق الحشا ... فكف على جفنٍ وأخرى على كبد
يسائل من يلقاه وهو مولهٌ ... أعندك يا هذا حديث عن المجد؟

وقصائد **المجاوبات** تنحو منحى شعر المعارضات من الناحية الفنية حيث يلتزم ثاني الشاعرين الموضوع والبحر والقافية لقصيدة الأول، وعلى هذا النحو نقف على قصائد أخرى مماثلة لسابقتها في خطاب أبي العلاء بن المرابط صاحب زواهر الفكر وجواهر الفقر، الذي ضم أكثر هذه المراسلات وأكثر أشعار ابن الجنان، وهي تتجه للأخويات أكثر مما تتجه للرسائل الجوابية لأن أبا العلاء لم يعارض ابن الجنان على نحو ما فعل ابن عمه أبو بكر بن المرابط.

وتحفظ المصادر مراسلة أدبية تتميز على سابقتها جرت بين أبي عبد الله شاعرنا وأبي عبد الله بن عابد وأبي الحسن الرعيني والمراسلة جاءت شعراً ونثراً وقد بدأها شاعرنا إذ كتب رسالة التزم فيها حرف العين في جميع كلماتها وهو يريد أن يفتح باب المساجلة معه مظهراً براعته اللغوية في رسالته فذاعت تلك الرسالة على نحو ما يذكر ابن عبد الملك المراكشي وأسقط في يد ابن عابد ولم يراجع ابن الجنان ودخل المساجلة ثالثهما أبو الحسن الرعيني فكتب رسالته وافتتحها بأبيات سبعة ملتزماً حرف العين وعلى نحو رسالة ابن الجنان فيجيبه شاعرنا برسالة أخرى مستهلة بأبيات نونية ملتزماً بكلمة عين في أبياتها أجمع لأن الرعيني التزم حرف العين قبل روي أبياته ومنها قوله:[3]

أتعتبني عمادي عمد عين ... وعين العذر تعرفه كعيني

---

١ ق، ٢٢.
٢ ق، ١١.
٣ ديوانه، ق ٤٥.

وعهـدي عهـد معتقـد علـيم بمعتـز اعتـزازك فـي رعـين
وعجـزي معلـنٌ بالعـذر عني فـدع عتبي أيـا سـمعي وعيني
ويـا معتـام صـنعته اختراعـاً عجيـب النـوع معتامـاً لعـين

ويختمها بقوله:

وبعـض الشـعر عـن عـين عـري فعـد الموضـعين بموضـعينِ

ويذيع خبر هذه المساجلة الأدبية الطريفة في جزيرة الأندلس، فيدخلها رابع هو أبو المطرف بن عميرة (ت٦٥٨هـ) شارة للإعجاب بابن الجنان والرعيني، ويختار لرسالته الحرف الذي يجمع فيه بين اسميهما، النون وينشئ رسالته مستهلاً إياها بأبيات مطلعها:

محاسـن دنيانـا تبـين لنـاظر ينقـب عنهـا مسـتبيناً لعينهـا

ولكن الرسالة لم تصل الرعيني. كما ذكر ذلك ابن عبد الملك المراكشي. بعد الاضطرابات التي حلّت بالأندلس ومنها مدينة أبي المطرف، بلنسية، ويحفظ ابن عبد الملك رسالة يشتاق فيها الرعيني إلى رسالة أبي المطرف بن عميرة تلك، إذ أنه سمع بها ولم يطلع عليها.

ولا بد لنا أن نشير إلى رابع موضوعاته الشعرية، ذلكم هو الرثاء، والظاهر أنه وافق من نفسه سبباً.. حيث كانت قصائده طويلة النفس فاجتمع حوالي أربعمائة بيت في سبع قصائد وكانت أطول قصيدة في الديوان في رثاء أبيه في مئة وواحد وسبعين بيتاً ومطلعها:

لا أمنـع الـدمع أن يهمي وأن يكفـا ولا أزال بربـع الحـزن معتكفـا

وقد سلك بها أفانين متشعبة وسبلاً متعددة على نحو ما بسطت القول فيه.[1]

ولا تقل عنها قصيدته الكافية التي رثى فيها شيخه أبي الحسن سهل بن مالك التي مطلعها:

دعـوني وتسـكاب الـدموع السـوافك فـدعوى جميـل الصـبر دعـوة آفـك

سماته الفنية:

أما أبرز السمات الفنية التي اتسم بها أبو عبد الله، فقد كانت أشعاره في مجملها مطبوعة غير متكلفة، ولكنه كان معنياً بلغته وأسلوبه على نحو ما نلاحظ في قصيدته الدالية التي كرر فيها "سلام" في مطالع أبياتها جميعاً في مائة وواحد وأربعين بيتاً،[2] أو على نحو ما يكرر جملة "صلوا على" في سبعة أبيات، وجملة "صلوا عليه وسلموا

---

١ مقدمة الديوان، ص ٤٢ . ٤٥.
٢ ق، ٩.